وينقل عن عبد العزيز الأبرش قوله :

لو كان في صخرة في البحر راسية صمّاء ملمومة مُلْسٍ حواليها
رزقٌ لعبد براه الله . . لانفلقت حتى تؤدّي إليه كلَّ ما فيها
أو كان بين طباق السبع مطلبه يوماً لسهَّل في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خُطَّ له إن هو أتاه ، وإلا فهو آتيها

ثم ينقل ابن حبان عن نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية فذكرنا أسباب الرزق ، فخضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبةً لمن يدعي حُبّه ثم يتهمه في رزقه! .

* * *

فإن الموت قد حان :

روى العلامة الحريفيش ـ رحمه الله ـ :

أن سفيان النووي ـ رحمه الله ـ خرج إلى مكة حاجّاً ، فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في المحمل ، فقال له شيبان الراعي : يا سفيان لِمَ بكاؤك ؟ إن كان لأجل المعصية فلا تعصه ، فقال سفيان : أما الذنوب فما خطرت ببالي قط صغيرها ولا كبيرها ، وليس بكائي يا شيبان من أجل المعصية ، ولكن من خوف الخاتمة ، لأني رأيت شيخاً كبيراً كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة ، وجاء بيت الله الحرام سنين ، وكان تلتمس بركته ، ويستسقى به الغيث ، فلما مات تحوَّل وجهه عن القبلة ومات إلى المشرق كافراً ، فما أخاف إلا من سوء الخاتمة ، فقال له : إن ذلك من شؤم المعصية ، والإصرار على الذنوب ، فلا تعص ربك طرفة عين :

يا نفسُ توبي فإنّ الموتَ قدْ حانا ... واعصِ الهوى فالهوى مازال فتّانا
في كـلِّ يـومٍ لنـا ميـتٌ نشيِّعـه ... ننسى بمصرعه.. آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أكنزها ... خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
فكم رأينا أناساً صالحين قضوا ... موتاً وقد سلبوا ديناً... وإيمانا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا ... بسوء خاتمةٍ للموت... أعيانا
أبعد خمسين قد قضّيتها لعباً ... قد آن تقصيرها قد آن... قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخرُّ له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلَوا منازلَ كان العزُّ مفرشها ... واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا
يا راكداً في ميادين الهوى فرحاً ... ورافلاً في ثياب الغيّ نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعبٍ ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا[1]

* * *

الكُميت والفرزدق :

لما قال الكُميت بن زيد الأسدي ـ من أسد مضر بن نزار ـ الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له ، فقال : صدقت فما حاجتك ؟ قال : نُفث على لساني ، وأنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته عليَّ ، فقال : يا بن أخي ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهات ما

(١) من الروض الفائق للشيخ الحريفيش : ١٤ .